الباب السادس
دخـــول الجنـــة
(فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عَمّا احتج به منازعوهم)

قالوا: أما قولكم إن الله - سبحانه - أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد، فهذا حق فى الدخول المطلق الذى هو دخول استقرار ودوام، وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة.

وقد دخل النبى ﷺ الجنة ليلة الإسراء وأرواح المؤمنين والشهداء فى البرزخ فى الجنة، وهذا غير الدخول الذى أخبر الله به فى يوم القيامة فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة، فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون فى الدنيا؟ وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد.

قالوا: وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التى ذكرتموها فى الجنة، وأنها لم توجد فى جنة آدم - عليه السلام - من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها. فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الإسلام.

ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدلُّ عليه سياق الآيات كلها، فإن نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها، وهذا لا ينفى أن يكون فيها بين أبوى الثقلين ما حكاه الله – سبحانه وتعالى- من ذلك، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافى بين الأمرين.

وأما قولكم: إنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف، وقد كلف الله - سبحانه - آدم بالنهى عن الأكل من تلك الشجرة، فدل على أن تلك الجنة دار تكليف لا دار خلود. فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف. وأما وقوع التكليف فيها فى دار الدنيا فلا دليل على امتناعه البتة، كيف وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت.....**» [1] الحديث.

وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة، بل هذا هو

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب (107)، وفي كتاب بدء الخلق باب (8)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة : 21، وفي مسند أحمد (ج2/339) .

5 الواقع، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمى ذلك تكليفا أو لم يسم.

الوجه الثاني: أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التى يكلف بها الناس فى الدنيا من الصيام، والصلاة، والجهاد، ونحوها، وإنما كان حجرا عليهما فى شجرة واحدة من جملة أشجارها، إما واحدة بالعين أو بالنوع، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه فى دار الخلد، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها، فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها فى وقت من الأوقات فلا دليل عليه، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها، فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم.

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم فإنما ينفى النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون، وأما قبل ذلك فلا.

وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد إهباطه وإخراجه من السماء،فلعمر الله إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباط الله له منها لا يرتضيها منصف، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هناك صعودا عارضا لتمام الابتلاء والامتحان الذى قدره الله - تعالى - وقدر أسبابه. وإن لم يكن ذلك المكان مقعدا له مستقرا كما كان، وقد أخبر الله - سبحانه - عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحى [1] وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون فى المكان الذى يصعدون إليه مع قوله تعالى:{اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ}[2] فلا تنافى بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فهذا محتمل، والله أعلم.

وأما استدلالكم بأن الله - سبحانه - أعلم آدم - عليه السلام - مقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه.

فجوابه: أن إعلامه بذلك لا ينافى إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة.

وأما إخباره - سبحانه - أن داخلها لا يموت وأنه لا يخرج منها، فهذا يوم القيامة.

وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض فلا ريب فى ذلك، ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها؟، وقد جاء فى بعض الآثار: «أن الله - سبحانه - ألقاه على باب الجنة أربعين

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى : {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ} [سورة الجن :9]
(2) آية (36) سورة البقرة.

صباحا، فجعل إبليس يطوف به ويقول: لأمر ما خلقت، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك، فقال: لئن سُلّطتُ عليه لأهلكنه، ولئن سُلّطَ على لأعصينه»[1] مع أن قوله سبحانه:{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[2].

يدل على أنه كان معهم فى السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء، وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك، ولو كان خَلْقُهُ قد كمل فى الأرض لم يمتنع أن يصعده - سبحانه - إلى السماء لأمر دبره وقدره، ثم يعيده إلى الأرض، فقد أصعد المسيح ﷺ إلى السماء ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة، وقد أسرى ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى فوق السماوات فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنازعيهم. والله أعلم.

* * * * * * *

الباب السابع
فى ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد

قالوا: لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة، وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى:{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ}[3] و{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}[4]، فتموت الحور العين التى فيها والولدان، وقد أخبر سبحانه أن الدار دار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ.

قالوا: وقد روى الترمذى فى جامعه[5] من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان[6]، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»** قال: هذا

---

(1) رواه الإمام أحمد فى مسنده (ج152/3) من حديث أنس . ورواه مسلم بلفظ مقارب . وفي تفسير ابن كثير (75/1).

(2) آية (30 - 32) سورة البقرة.

(3) آية (88) سورة القصص.

(4) آية (185) سورة آل عمران.

(5) الترمذى فى الدعوات: (59): حديث (3462).

(6) قيعان: جمع قاع، وهو المكان المستوى الواسع فى وطأة من الأرض. وقاعة الدار ساحتها. المختار والمعجم الوسيط: قاع.